الجامعة اللبنانية ومسألة الاندماج الوطني
دراسة استطلاعية - تحليلية

معضاد رحال[1]

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى تعرّف مواقف الطلاب في الجامعة اللبنانية من القضايا الوطنية المشتركة، ومدى تباينها أو توافقها بين طلاب الكليات الموحدة وغير الموحدة من ناحية، وبين طلاب السنة الأولى والسنة الأخيرة في هذه الكليات من ناحية أخرى، للعام الجامعي 2008 - 2009. وذلك من خلال استبيان يقيس مدى ممارسة أفراد العينة للسلوكيات التي تدفعهم لاتخاذ هذه المواقف. وتقع هذه السلوكيات في ثلاثة أبعاد رئيسية: البعد الديني والبعد الاجتماعي والبعد السياسي. واقتصرت الدراسة على عينة من 518 طالبا وطالبة تمثل نسبة 32.7% من مجموع الطلاب في خمس كليات، ثلاث منها موحدة واثنتان غير موحدتين[2].

أظهرت الدراسة:1) تدني الدور الذي تلعبه الكليات الموحدة في تعزيز التواصل والاندماج الوطني بين الطلاب. 2) وجود تطور نوعي وكمي لدى الطلاب القادمين حديثا إلى الجامعة حول تأييد فكرة توحيد الكليات في مبان موحدة أكثر من زملائهم في السنة الأخيرة. 3) وجود تشدد لدى الطلاب المسيحيين في تفضيل الزواج من الدين نفسه في حين أن المسلمين يتشددون في اعتماد المذهب كمحدد أساسي في عملية الاختيار. 4) وجود تخوف لدى الطلاب من التعبير عن آرائهم بحرية داخل الحرم الجامعي. 5) التواصل الاجتماعي بين الطلاب، بالرغم من ضآلته، يحصل بين الذين ينتمون إلى الديانة نفسها.

أولاً: المقدمة

إن ما يميِّز المؤسسة الجامعية عن باقي مؤسسات المجتمع الأخرى، أنها تشكل صرحا للتعليم العالي

---

[1] أستاذ مساعد في معهد العلوم الاجتماعية/ لبنان، دكتوراه في العلوم الاجتماعية من جامعة باريس VII, 1994، بريد إلكتروني: dr__rahhal@hotmail.com

[2] يقصد بالكلية «الموحدة» في هذه الورقة تلك التي لها موقع واحد، في حين أن الكلية غير الموحدة هي تلك التي توجد في أكثر من موقع بصورة فروع وشعب.

والإنتاج الفكري النقدي، كما تشكل واحة للتقارب والتفاعل بين أفراد قادمين من خلفيات جيو – سياسية ودينية مختلفة، حيث تثارفيها مختلف القضايا ذات الصلة بالمجتمع. وإذا كانت مسألة الاندماج الاجتماعي والوطني في لبنان، تشكّل أحد الأهداف الرئيسية التي تسعى الجامعة الوطنية إلى تحقيقها وتعميقها في إطار وطني موحد (دليل الجامعة، 1998)، فهذا يعني أن الجامعة لا تعمل في فراغ اجتماعي أو ثقافي ولكنها، كما أوضح بارسنز (Parsons, 1955)، جزء من البنيان الاجتماعي – الثقافي العام الذي يهتم بالجوانب المعرفية للمجتمع. وبالتالي تصبح الوظيفة الاجتماعية للجامعة على قدر كبير من الأهمية، ينبغي التوقف عندها، بهدف التعرف إلى مدى تأثير حركة التفاعل بين الطلاب والتقارب في ما بينهم. ويصبح السؤال ملحا حول نتائج هذه الحركة التفاعلية، التي فرضتها علاقات المكان على مدى أربع سنوات دراسية متتالية أو اكثر، في ضوء تنوع القيم والآراء داخل الأوساط الأكاديمية (مراد، 1973)، وعما إذا أدت إلى خلق حيز للتوافق على بعض القضايا المتعلقة بالطائفة والدين والمواقف الوطنية، أم أنها دفعت باتجاه تجديد حالة التنافس والنزاع والتمترس وراء الانتماءات الأولية للطلاب، وخلفياتهم الاجتماعية والتاريخية التي اكتسبوها في المرحلة ما قبل الجامعية؟ ذلك أن التنشئة الاجتماعية للفرد، في تلك المرحلة، تتولاها الأسرة والمدرسة والمؤسسة الدينية، وتتميز بتلقينه مجموعة من القيم ضمن إطار ثقافي محدود، بحيث إن الفرد يصبح ابن طائفته قبل أن يكون مواطنا، ويصبح سبيله إلى الحياة والمجتمع من خلال نفق انتمائه الطائفي وعبر علاقته بزعمائها الدينيين والدنيويين. إلا أن الجامعة، من الناحية النظرية، تنقله إلى المجال الأرحب، وتشكل له وسيطا بين الانتماءات الأولية الموروثة والاتجاهات الجديدة المحصلة وتخلق لديه حيزا واسعا من الاحتكاك الحقيقي بالقيم الاجتماعية الأخرى، ومصدرا لإعادة التفكير بها والنظر إليها بشكل موضوعي. وهكذا فإن الفرضية الرئيسية لهذه الدراسة تتمحور حول دور الجامعة اللبنانية في عملية الاندماج الوطني، من خلال تأثيرات المكان والزمان في تفاعل المجموعات الطلابية المتقاربة، ومدى رفضها أو تقبلها لبعضها البعض. ودور الكليات الموحدة في تعزيز عملية الاندماج الاجتماعي والوطني بين الطلاب.

إن الكلام على الاندماج والوحدة الوطنية والطائفية السياسية في لبنان، إشارة واضحة إلى عدم توافق المجتمع وتماسكه حول هذه المفاهيم، ولأجل ذلك أوصت وثيقة الوفاق الوطني عام 1989 بضرورة «إعادة النظر في مناهج التربية والتعليم وتطويرها بما يعزز الانتماء الوطني والانصهار والانفتاح الروحي والثقافي وتوحيد الكتاب في مادتي التاريخ والتربية الوطنية» (البند 5). على اعتبار أن هذه المناهج تسعى، كما اللبنانيين، إلى تحقيق وحدة وطنية كاملة وخلق مجتمع وطني متماسك يشعر فيه المواطنون بالأمن والاطمئنان (المركز التربوي للبحوث، 1997، ص. 1–13).

إن ما تعنى به هذه الدراسة يندرج ضمن مسألتين أساسيتين:

الأولى، وجود مشكلة بين الطلاب الجامعيين، حول تعدد مواقفهم من المفاهيم ذات الصلة بالوحدة الوطنية التي تشكل عائقا أمام عملية الاندماج الوطني.

الثانية، الدور الذي تضطلع به الجامعه اللبنانية، باعتبارها مكانا رحبا لتلاقي الطلاب مع بعضهم البعض، مما يسهّل عملية الاندماج الوطني بين الطلاب، ويعطيها أهمية في عملية التغيير وبناء مستقبل الوطن الموحد.

فهل استطاعت الجامعة، من خلال وحدة المكان، أن تحقق عملية التفاعل الإيجابي والاندماج الوطني بين طلابها؟ أو أنها بقيت أسيرة التجاذبات الثقافية والسياسية وتحولت إلى مفترق للانقسامات، وإلى زيادة

حدة التنافس والنزاع بين المجموعات الطلابية المتقاربة مكانيا؟ أي هل التربية المكتسبة في المرحلة ما قبل الجامعية غير قابلة للتغيير؟ ألم تستطع الجامعة، بما تجمع وتقارب بين الطلاب، من اختراق هذ الثقافة، وأن تساهم في بناء ثقافة الاعتراف بالآخر والحق الطبيعي باختلاف الرأي، وتغليب الاهتمامات النقابية الموحدة للحركة الطلابية والتنافس الحر على الولاءات الأولية والانتماءات العصبية والطائفية؟ أم أن الواقع الطلابي في الجامعة أصبح صورة للانقسامات اللبنانية؟ ضمن هذا السياق، تأتي هذه الدراسة لإلقاء بعض الضوء على طبيعة الوظيفة الاجتماعية التي تؤديها الجامعة، وتأثير حدود المكان والزمان، ومدى فعاليتهما في توجيه سلوك الطلاب وتوجهاتهم في مختلف نواحي الحياة الاجتماعية.

ثانياً: الخطة المنهجية للدراسة

1. **خطة الدراسة**: تنقسم الدراسة إلى قسمين: الأول، إطار نظري، وفيه استعراض لأدبيات الدراسة ومنهجها وأسئلتها، إضافة إلى تحديد الوظيفة الاجتماعية للجامعة، كأداة تغيير في سبيل تحقيق الاندماج الوطني والاجتماعي لمختلف مكونات المجتمع.
الثاني، إطار تطبيقي، وفيه تحليل لمضامين آراء عيِّنة من الطلاب الجامعيين للعام الدراسي 2008 – 2009، بغرض الإجابة عن أسئلة الدراسة والتحقق من فرضياتها.
2. **مجتمع الدراسة**: تمثِّل مجتمع الدراسة بالكليات الموحّدة[3] داخل المجمّع الجامعي في الحدث (الطب، الصيدلة) وخارجه (الزراعة)، وغير الموحَّدة، كلية الحقوق بفرعيها: الأول (داخل المجمّع) والثاني (خارج المجمّع)، كما هو مبين في الجدول رقم 1.
إن الهدف من هذا الاختيار يعود، بشكل أساسي، إلى تعرّف الدور الذي يشكِّله دمج الكليات في مبنى موحّد، وتأثيراته في مستوى التفاعل بين الطلاب، وتقبلهم لبعضهم البعض.
3. **عينة الدراسة**: اعتمدت هذه الدراسة على العينة العشوائية المبعثرة. وقد طبقت على خمسماية وثمانية عشر طالبا وطالبة من أربع كليات في الجامعة اللبنانية، تمثلت بالسنتين الأولى والأخيرة[4]، وقد بلغت نسبة العينة 32.7% من مجموع طلاب الكليات، وقد وصلت درجة التشابه، مع المجتمع الأصلي، إلى حدود التطابق في بعض الكليات التطبيقية، (كالصيدلة)، وإلى تشابه في كلية الحقوق تجاوز نسبة 5 إلى 20.

[3] تستعمل كلمة كلية موحدة في هذه الورقة للدلالة على الكلية التي لا فروع لها في المناطق.
[4] لقد تم اعتماد مصطلح السنة الأولى والأخيرة نظرا إلى التفاوت في عدد السنوات المقررة للتخرج في الكليات المعنية بالدراسة.

جدول 1: توزع أفراد العينة بحسب النوع الاجتماعي

			الجنس		المجموع
			ذكر	أنثى	
الكلية	غير موحدة	العدد	130	198	328
		%	39.6	60.4	100
	موحدة	العدد	67	123	190
		%	35.3	64.7	100
المجموع		العدد	197	321	518
		%	38	62	100

جدول 2: توزع أفراد العينة بحسب الديانة

			الديانة			المجموع
			لا جواب	مسلم	مسيحي	
الكلية	غير موحدة	العدد	21	154	153	328
		%	6.4	47	46.6	100
	موحدة	العدد	7	102	81	190
		%	3.7	53.7	42.6	100
المجموع		العدد	28	256	234	518
		%	5.4	49.4	45.2	100

إستنادا إلى بيانات الجدولين 1 و2، فقد توزعت العينة على الشكل التالي:

- نسبة الذكور 38% والإناث 62%.
- نسبة المسلمين 49.4% والمسيحيين 45.2%.

4. **أسلوب جمع المعلومات**: لقد تم تصميم استمارة، تمت تعبئتها من قبل الطلاب مباشرة، أثناء الحصة الدراسية. وقد تراوحت أسئلة الاستمارة، ما بين أسئلة مغلقة ذات إجابات ثنائية أو خيارات متعددة ذات نهاية مفتوحة، لكي تتيح للطالب إضافة ما يراه، من وجهة نظره. وقد تمت الاستعانة ببعض الأسئلة المطروحة في استمارات سابقة[5].
5. **طريقة تحليل البيانات وتفسيرها**: إستخدم في تحليل البيانات برنامجي (Excel وSPSS)، من خلال الجداول التكرارية البسيطة والمركبة واختبار حسن المطابقة X2 (مربع كاي 2) لمعرفة مدى وجود فوارق ذات دلالة إحصائية بين المتغيرات.

وقد تم تحديد محتوى الاستقصاء على ضوء الأحداث التي تحصل في مختلف الكليات، فضلا عن الاستفادة من الدراسات السابقة التي تناولت الموضوع، وأبرزها تلك التي أجريت من قبل تيودور هانف (Hanf, 1973)، وجوزف جبرا (Jabra, 1972)، وعدنان الأمين (El Amine, 1977)، وعدنان

[5] أضيفت بعض الأسئلة التي كانت مطروحة في استبيانات سابقة (الأمين وفاعور، ص.ص. 419-435).

الأمين ومحمد فاعور (1998). فقد توصلت هذه الدراسات إلى قواسم مشتركة تتعلق بتأثير الانتماءات الدينية والطائفية على دور الجامعة والمدرسة وتحويلهما إلى صورة مطابقة لانقسام المجتمع الديني والطائفي. أما دراسة بركات (1977)، حول الاتجاهات السياسية للطلاب الجامعيين، فقد بيَّنت أن هناك تكاملا بين الولاء العائلي والولاء الديني، أي كلما ازداد الاغتراب عن العائلة ازداد الاغتراب عن الدين، وبقدر ما ازداد الاندماج في العائلة ازداد التدين والولاء الطائفي. وتأتي هذه الدراسة بعد مرور فترة زمنية على الدراسات السابقة، كانت زاخرة بالأحداث الطائفية والمذهبية، حتى أنها طالت أبناء الطائفة الواحدة، وربما شكَّلت حالة من الوعي والتغيير في الذهنية، وقناعة لدى الأجيال المتعاقبة بأهمية الولاء الوطني على ما عداه، وعدم تناقضه مع أي انتماء آخر.

ثالثاً: نتائج الدراسة الميدانية

يتناول هذا القسم ما انتهت إليه الدراسة الميدانية من نتائج، وذلك من خلال ثلاثة أبعاد:

1. البعدالديني وتأثيره في الاندماج الوطني
2. البعد الاجتماعي وتأثيره في مدى التعاون والتفاعل بين الطلاب.
3. البعد السياسي وانعكاساته على عملية الاندماج والتفاعل الوطني بين الطلاب.

1. البعد الديني وتأثيره في الاندماج الوطني

تعددت الأدبيات والنظريات التي تطرقت إلى مفهوم الدين سواء من حيث اعتباره ظاهرة يفرضها العقل الجمعي بقدرته القاهرة على الأفراد ويؤدي إلى الاستقرار السياسي والاجتماعي (Durkheim, 1967). أو من جهة تأثيره في التغيرات الاجتماعية وعلاقته بالسلوك اليومي للأفراد (Weber, 1967)، أو من حيث دوره في توحيد الناس وخلق روح التضامن الاجتماعي بينهم عن طريق القيم الثقافية والاعتقادات التي يدعو إليها هذا الدين أو ذاك (ابن خلدون)، حيث يمكن للدين أن يعكس النزاعات الاجتماعية المطروحة في مجتمع ما سواء لتبرير سيطرة الحاكمين، «الدين أفيون الشعوب»، أو كتعبير سياسي رافض ومتمرد في أيدي القوى الاجتماعية، «الدين زفرة المضطهدين» (Marx et al., 1968). ولكن مهما تباعدت أو تقاربت هذه الاتجاهات، فإنها تشير إلى أن الدين ينبثق عن واقع اجتماعي واقتصادي وسياسي وتاريخي معقد ويرتبط تطوره بتطور هذا الواقع.

إزاء هذه التناقضات، هل يشكل التنوع الديني حالة صحية أم مرضا لا بد من القضاء عليه حتى تصطلح الأحوال؟ فقد جاءت الأديان السماوية دون تضاد او خلاف ولم يأت أي منها ليقضي على الآخر، وأن الرسل بعثوا لإقامة العدل (سعيد، 1998)، والاختلاف ليس على مبدأ الخير والشر بل حول وجهات نظر وطرق عبادة لا أكثر ولا اقل. وإذا كانت الديانات الثلاث لا تلتقي في الشؤون العقائدية (Arnaldez, 1986) إلا أنها تتميز بكثير من أوجه التداخل والتقارب في بعض عناصرها ومنطلقاتها الأساسية (غدنز، 2005). فالإنسان حر في اعتناق الدين الذي يريده وأن يمارس شعائره في السر والعلانية، إلا أن هذه الحرية تقف عند حدود الأعمال التي تهدد سلامة المجتمع واستقراره.

إلا أن المعضلة الأساسية في لبنان تكمن في تطييف التباينات الدينية في التنافس السياسي، وفي جدلية استغلال الدين في التنافس السياسي. وبالرغم من أن وثيقة الوفاق الوطني أشارت إلى ضرورة

«الانسجام بين الدين والدولة» (الفقرة ب)، الأمر الذي يفرض علاقة سليمة بين الدين والسياسة، بحيث لا يكون الدين سلطويا بل إيمانا والتزاما، ولا تكون السياسة عنفية متلبسة بالدين، بل مرتكزة على التنوع الديني، وعلى الحد من استغلال الدين في التنافس السياسي. إلا أن هذا الانسجام المفترض، يتحول، في أحيان كثيرة، إلى تهديد الكيان الوطني برمته.

وفق هذا السياق، تثارعدة تساؤلات حول علاقة الدين بالانقسامات السياسية وانعكاساتها على الاندماج الوطني بين طلاب الجامعه اللبنانية. فهل التنوع الديني وما يتبعه من تنوع طائفي ومذهبي يؤثر في تباعد الطلاب عن بعضهم البعض؟ وما هي انعكاسات ذلك على عملية التلاحم والاندماج الوطني والاجتماعي بين الطلاب؟ وهل التنوع الديني هو الذي خلق الفواصل الاجتماعية وأضعف عملية الاندماج بين الطلاب الجامعيين؟ ونشير هنا إلى ضرورة التمييز بين الدين الذي يشير إلى العقيدة والمعتقدات اللاهوتية لجماعة معينة (بركات، 1986)، وبين الطائفة التي تشكّل كيانا اجتماعيا له عدده ومؤسساته وشعاراته وتقاليده الخاصة (نصار، 1970)، بحيث ينمو ويقوى على حساب الدولة المركزية.

لذلك فإن فرضيتنا تنطلق من أن التنوع الديني المسيّس، أو التوظيف السياسي للدين والطائفة يؤدي إلى التباعد بين الطلاب، وأن الجامعه بكل مكوناتها، باعتبارها مكانا للتلاقي واكتساب المعرفة، سوف تشكل متغيرا يؤدي إلى تبديد هذا التباعد وتحويله إلى حالة من التفاعل الإيجابي والإنسجام بين الطلاب. وبالتالي فإن الكليات الموحَّدة سوف تكون أكثر فعالية في تحقيق عملية الاندماج الوطني من الكليات غير الموحدة، في ما توفره من تفاعل بين الطلاب من مختلف المناطق والاتجاهات الدينية والسياسية. كما أن الطلاب الذين مضى على تواجدهم أربع سنوات وما فوق في الجامعة (أي السنة الجامعية الأخيرة)، فإنهم سوف يكونون أكثر انسجاما وتقبلا لبعضهم البعض من زملائهم الذين لم يمض على تواصلهم مع بعضهم أكثر من عدة أشهر (السنة الأولى)، والذين ما زالوا متأثرين باندماجهم العائلي والطائفي في جماعاتهم الأولية.

وللتحقق من هذه الفرضية، فقد حاولنا التعرف إلى اتجاهات الطلاب من خلال عدة محددات أو متغيرات تتعلق بانعكاس انتماءاتهم الدينية على مواقفهم وسلوكياتهم تجاه علاقتهم بالآخرين سواء على مستوى علاقات الزواج أو الصداقة أو التعاون مع أشخاص من دين مختلف.

أ. الالتزام الديني

جدول 3: ممارسة الطلاب لواجباتهم الدينية وفقا للسنة الدراسية

			ممارسة الواجبات الدينية				المجموع
			أحيانا	بعضها	جميعها وبانتظام	لا أمارس	لا جواب	
السنة الدراسية	الاولى	العدد	72	127	109	18	1	327
		%	22	38.8	33.3	5.5	0.3	100
	الأخيرة	العدد	21	94	71	3	2	191
		%	11	49.2	37.2	1.6	1	100
المجموع		العدد	93	221	180	21	3	518
		%	18	42.7	34.7	4.1	0.6	100

قيمة ك2 دالة (0.02)

إن الالتزام بالواجبات الدينية أو عدمه لا يعني الإيمان أو الإلحاد، وكذلك لا يعني المواطنة أو عدمها، فكل متدين هو حتما مواطن، ولكن ليس كل مواطن متدينا، أو مؤمنا بالطريقة التقليدية القائمة على ممارسة الطقوس والشعائر. وهنا سوف تتم مقارنة آراء الطلاب، القادمين حديثا إلى الجامعة مع آراء زملائهم الذين أمضوا أكثر من أربع سنوات في كلية واحدة، لمعرفة مدى التغيرات التي أحدثتها هذه الفترة الزمنية وما جرى خلالها من تحصيل معرفي، جعلت من الدين حالة متقدمة في إغناء العلاقات الاجتماعية مع الآخرين، أو على الأقل في فصله عن تحديد العلاقات مع الآخر.

تبين معلومات الجدول 3، أن الذين يمارسون واجباتهم الدينية بانتظام بلغت نسبتهم 35% تقريبا، وبلغت 33% في السنة الأولى و 37% في السنة الأخيرة، وهذا يشير إلى أن طلاب السنة الأخيرة أكثر تشددا في ممارسة الشعائر الدينية من زملائهم بنسبة طفيفة لا تتجاوز 4%. وإذا جمعنا نسبة الذين يمارسون شعائرهم الدينية بشكل متقطع (بعضها + أحيانا)، فإن النسبة ترتفع إلى 60% تقريبا من المجموع.

واذا احتسبنا نسبة الذين يمارسون واجباتهم الدينية بشكل منتظم ومتقطع فإنها ترتفع إلى أكثر من 95%، في حين أن نسبة الذين لا يمارسون هذه الواجبات تنخفض إلى حدود 4%. وهذه النتائج تتفق مع نتائج سابقة (الأمين وفاعور، 1998) بيّنت أن 94% من الطلاب الجامعيين يوجد بينهم قاسم مشترك هو الإيمان بالله ونسبة ضئيلة بحدود 6% من الملحدين. أما إذا احتسبنا الحالات الثلاث على السنتين الأولى والأخيرة فيتبين أن طلاب السنة الأولى أقل التزاما بواجباتهم الدينية، ولو بفارق ضئيل لا يتجاوز 3%، إذ بلغت النسبة 94% مقابل 97% تقريبا، وهذا ما يتناقض مع دراسة بركات 1977، التي بينت أن الطلاب الجامعيين يزدادون اغترابا عن الدين واغترابا عن العائلة.

ب. إختيار الشريك من دين مختلف كمؤشر على التقارب بين الطلاب

جدول 4: آراء الطلاب حول تفضيل اختيار الشريك بحسب السنة الدراسية

			كيف تفضل الزوج (ة)					المجموع
			لا أسأل	لا جواب	من ديني	من مذهبي	من منطقتي	
السنة الدراسية	الأولى	العدد	95	4	144	82	2	327
		%	29.1	1.2	44	25.1	0.6	100
	الأخيرة	العدد	41	2	90	58	0	191
		%	21.5	1	47.1	30.4	0.0	100
المجموع		العدد	136	6	234	140	2	518
		%	26.3	1.2	45.2	27	0.4	100

قيمة ك مربع غير دالة إحصائيا

يتبين من، خلال الجدول 4، بعض التباين بين السنتين الأولى والأخيرة، في ما يتعلق بتفضيل اختيار الشريك. إذ يبدو أن طلاب السنة الأولى أكثر مرونة في اعتماد الدين كمحدد أساسي في عملية الاختيار، ولو بفارق ضئيل، إذ إن نسبة الذين لا يسألون عن دين الشريك الآخر بلغت 29% مقابل

21% في السنة الأخيرة. كما أن النسبة التي تفضل الزواج من الدين نفسه بلغت في الأولى 44% مقابل 47% في الأخيرة. وهذا ما يتوافق مع معطيات الجدول السابق (رقم 3)، حول انخفاض نسبة الطلاب في السنة الأولى الذين يمارسون واجباتهم الدينية بمختلف أنواعها مقارنة بزملائهم في السنة الأخيرة. وهذا ما يتناقض مع الفرضية التي طرحناها والتي تعتبر أن السنة الجامعية الأخيرة أكثر انفتاحا ومرونة في تقبل الآخر، وأن طلاب السنة الأولى، ما زالوا متأثرين بجماعاتهم الأولية، التفافا حول العائلة والطائفة. الأمر الذي يثير تساؤلات كبيرة حول دور الجامعة السلبي في عملية الاندماج. ويزداد هذا الاتجاه رسوخا، حينما يتبين أن النسبة العالية في اختيار الدين كمحدد رئيسي في عملية اختيار الشريك ترتفع في الكليات الموحدة، لا سيما في الصيدلة إلى 59% وفي الزراعة إلى 49%.

جدول 5: تفضيل اختيار الشريك بحسب الدين

			تفضيل اختيار الشريك					المجموع
			لا أسأل	لا جواب	من ديني	من مذهبي	من منطقتي	
الديانة	لا جواب	العدد	15	1	9	3	0	28
		%	53.6	3.6	32.1	10.7	0	100
	مسلم	العدد	68	2	66	119	1	256
		%	26.6	0.8	25.8	46.5	0.4	100
	مسيحي	العدد	53	3	159	18	1	234
		%	22.6	1.3	67.9	7.7	0.4	100
المجموع		العدد	136	6	234	140	2	518
		%	26.3	1.2	45.2	27	0.4	100

قيمة ك مربع دالة إحصائيا (0.000)

تشير بيانات الجدول 5 إلى بعض التقارب في آراء الطلاب المسيحيين والمسلمين الذين لا يسألون عن ديانة الشريك الآخر عند الاختيار. إلا أنها تتباعد في ما يتعلق بالذين يفضلون اختيارالشريك من الدين نفسه. حيث ترتفع النسبة عند المسيحيين إلى حدود 68% مقابل 26% تقريبا عند المسلمين. وتصبح الصورة معكوسة، حينما يتعلق الأمر بتحديد المذهب كمحك في عملية التفضيل، بحيث ترتفع النسبة إلى حدود 47% عند الطلاب المسلمين مقابل 8% تقريبا عند الطلاب المسيحيين.

جدول 6: آراء الطلاب حول تفضيل اختيار الشريك بحسب الجنس

			تفضيل اختيار الشريك				المجموع
			لا أسأل	لا جواب	من ديني	من مذهبي	من منطقتي
النوع	ذكر	العدد	77	5	71	42	2	197
		%	39.1	2.5	36	21.3	1	100
	أنثى	العدد	59	1	163	98	0	321
		%	18.4	0.3	50.8	30.5	0	100
المجموع		العدد	136	6	234	140	2	518
		%	26.3	1.2	45.2	27	0.4	100

قيمة ك مربع دالة إحصائيا (0.000)

يتبين، من خلال الجدول 6، أن الإناث أكثر تشددا من الذكور في عملية الاختيار، ففي حين أن نسبة الذكور الذين لا يسألون عن ديانة الشريك بلغت 39% فإنها لم تتخط 18% تقريبا عند الإناث. كذلك في ما يتعلق بتحديد عامل الدين في عملية الاختيار فإنها تجاوزت 50% عند الأناث مقابل 36% عند الذكور، وهذا التباين ينطبق أيضا على المذهب، اذ بلغت النسبة عند الإناث 30% مقابل 21% عند الذكور. وهذا الأمر يدل على اتساع هامش حرية الاختيار لدى الذكور أكثر من الإناث، اللواتي يلتزمن أكثر من الذكور في التقيد بالموروث الاجتماعي. وبالتالي فإن العلوم المحصلة في الجامعة، وعملية التلاقي بين الطلاب لم يؤثرا، بشكل فاعل، في تغيير سلم القيم لدى الإناث.

ج. المصادقة من دين آخر كمؤشر على الاندماج الوطني

جدول 7: مصادقة الطلاب لأشخاص من دين آخر بحسب الكلية

			مصادقة أشخاص من دين آخر			المجموع
			إلى حد ما	لا	نعم	
الكلية	كلية غير موحدة	العدد	43	8	277	328
		%	13.1	2.4	84.5	100
	كلية موحدة	العدد	14	1	175	190
		%	7.4	0.5	92.1	100
المجموع		العدد	57	9	452	518

قيمة ك مربع دالة إحصائيا (0.05)

جدول 8: مصادقة الطلاب لأشخاص من دين آخر بحسب سنة الدراسة

			مصادقة أشخاص من دين آخر			المجموع
			إلى حد ما	لا	نعم	
السنة الدراسية	الأولى	العدد	34	7	286	327
		%	10.4	2.1	87.5	100
	الأخيرة	العدد	23	2	166	191
		%	12	1	86.9	100
المجموع		العدد	57	9	452	518
		%	11	1.7	87.3	100

قيمة ك مربع غير دالة إحصائيا

يتبين من الجدولين 7 و8 أن نسبة الطلاب الذين يرغبون بمصادقة أشخاص من ديانات مختلفة عالية جدا، سواء على مستوى الكليات الموحدة (92%)، أو غير الموحدة (84%)، وقد سجلت كلية الصيدلة أعلى نسبة (96%). وهذا الأمر ينطبق على السنوات، أيضا إذ وصلت النسبة في السنة الأولى إلى 88% وفي الأخيرة إلى 87% تقريبا. وهذا يعني أن إقامة صداقات مع أشخاص من دين آخر تختلف عن اختيار الشريك.

د. الانتماء الطائفي وتأثيره في الانتماء الوطني

يزداد الانقسام، حينما تتساق النخب، التي تتشكّل في الجامعات، خلف النزعات الطائفية والمذهبية، والتي تعتبر مدخلا إلى نكوص أعمق في عالم ضيق لا يوجد فيه سوى لون ورائحة طائفته، حيث تسعى كل طائفة إلى تهميش الطائفة الأخرى وإلغائها.

يبين الجدول 9 أن نسبة الطلاب، الذين غلّبوا انتماءهم الطائفي على الوطني تجاوزت 28% من إجمالي أفراد العينة، في حين أن نسبة الطلاب الذين أعطوا الأولوية لانتمائهم الوطني، ارتفعت إلى أكثر من 46%، وهذا يشمل جميع الكليات. وهذا ما يتوافق مع دراسات أخرى أجريت في أواخر التسعينيات (الأمين وفاعور، 1998). على أن الكليات الموحدة (الطب والزراعة والصيدلة) سجلت تمايزا طفيفا عن الكليات غير الموحدة، إذ بلغت نسبة الذين يغلبون انتماءهم الطائفي على الوطني 26% في الأولى، مقابل 30% في الثانية.

جدول 9: الانتماء الوطني والطائفي لأفراد العينة بحسب للكلية

			العلاقة بالطائفة				المجموع
			أقوى من انتمائي إلى لبنان	طائفتي ثانيا	لا يعنيني	لا جواب	
الكلية	كلية غير موحدة	العدد	99	137	89	3	328
		%	30.2	41.8	27.1	0.9	100
	كلية موحدة	العدد	50	104	31	5	190
		%	26.3	54.7	16.3	2.6	100
المجموع		العدد	149	241	120	8	518
		%	28.8	46.5	23.2	1.5	100

قيمة ك مربع دالة إحصائيا (0.05)

أما على صعيد السنوات الدراسية (جدول 10)، فإن الإحصاءات تشير إلى ارتفاع النسبة لدى طلاب السنة الأولى (30%)، مقابل 26% لطلاب السنة الأخيرة. وبالرغم من ضآلة الفارق، إلا أنه يشير إلى دلالات مهمة حول تفاعل الطلاب في مختلف الكليات، بالرغم من تعدد انتماءاتهم. ويشير انخفاض نسبة الطلاب الذين يغلّبون انتماءهم الطائفي على الوطني في السنة الأخيرة مقارنة بزملائهم في السنة الأولى، إلى صحة الفرضية التي طرحناها سابقا، في حين أن الولاء الوطني يزداد مع اختلاط الطلاب لفترات طويلة مع بعضهم البعض من ناحية، وزيادة معارفهم حول أهمية الولاء الوطني من ناحية أخرى.

جدول 10: الانتماء الوطني والطائفي لأفراد العينة بحسب السنة الدراسية

			العلاقة بالطائفة				المجموع
			أقوى من انتمائي إلى لبنان	طائفتي ثانيا	لا يعنيني	لا جواب	
السنة الدراسية	الأولى	العدد	98	143	82	4	327
		%	30	43.7	25.1	1.2	100
	الأخيرة	العدد	51	98	38	4	191
		%	26.7	51.3	19.9	2.1	100
المجموع		العدد	149	241	120	8	518
		%	28.8	46.5	23.2	1.5	100

قيمة ك مربع غير دالة إحصائيا

2. البعد الاجتماعي

تشكل العلاقات بين الناس والتعاون في ما بينهم ركنا أساسيا من أركان المواطنة، حيث تنمو هذه العلاقات وتنتقل من جيل إلى آخر، عبر سمات ثقافية، من أجل ضمان استمراريتها وتحقيق أهدافها المشتركة. فالوطن ليس مجرد أرض فقط، بل هو مجموعة من العلاقات بين أبنائه، ينتج عنها حالات من التضامن تجاه المخاطر المشتركة، وتعطي الفرد قيمة اجتماعية، بمعزل عن انتمائه الديني أو الطائفي. ويعتبر مفهوم التواصل الاجتماعي سمة تبرز في صنف من الناس يتميزون بالمشاركة والتعاون والتفاعل في ما بينهم، حيث يعتبر الأسلوب المباشر لإحياء روح التضامن بين فئات المجتمع، والذي على أساسه تبنى مفاهيم جديدة كالتعاون والتفاعل والتضامن للتوصل إلى الاندماج والتماسك الاجتماعيين (Durkheim, 1960).

وفق هذا المفهوم، فإن التعاون يقتصر على جماعات تربط بينها أهداف مشتركة كالطلاب الجامعيين مثلا، موضوع دراستنا. فما هو دور الجامعه في خلق هذا التواصل والتضامن بين الطلاب؟ وهل تشكّل موروثات الجماعة الأولية حافزا للتشكل في جماعات على أساس ديني أو طائفي، لا تستطيع الجامعة اختراقها ودمجها ضمن إطار وطني جامع؟ سوف نحاول، في هذا الإطار، الاطلاع على درجة التعاون بين الطلاب من منظور التنوع الديني في ما بينهم من ناحية، ومنظور تواصلهم وتلاقيهم ضمن حرم جامعي موحد لعدة سنوات من ناحية ثانية.

أ. التنوع الديني معوّق أو محفّز للتواصل الاجتماعي؟

جدول 11: صعوبة تواصل الطلاب مع أشخاص من دين آخر بحسب الكلية

			صعوبة التواصل بين الطلاب من دين مختلف				المجموع
			إلى حد كبير	إلى حد ما	لا يوجد	لا جواب	
الكلية	كلية غير موحدة	العدد	14	112	201	1	328
		%	4.3	34.1	61.3	0.3	100
	كلية موحدة	العدد	2	56	131	1	190
		%	1.1	29.5	68.9	0.5	100
المجموع		العدد	16	168	332	2	518
		%	3.1	32.4	64.1	0.4	100.00

قيمة ك مربع غير دالة إحصائيا

جدول 12: صعوبة تواصل الطلاب مع أشخاص من دين آخر بحسب السنة الدراسية

			صعوبةالتواصل بين الطلاب من دين مختلف				المجموع
			إلى حد كبير	إلى حد ما	لا يوجد	لا جواب	
السنة الدراسية	الأولى	العدد	10	106	210	1	327
		%	3.1	32.4	64.2	0.3	100
	الأخيرة	العدد	6	62	122	1	191
		%	3.1	32.5	63.9	0.5	100
المجموع		العدد	16	168	332	2	518
		%	3.1	32.4	64.1	0.4	100

قيمة ك مربع غير دالة إحصائيا

يشير الجدولان 11 و12 إلى نسب عالية بين الطلاب الذين لا يجدون صعوبة في التواصل مع غيرهم. حيث بلغت هذه النسبة 61% في الكليات غير الموحدة مقابل 69% تقريبا في الكليات الموحدة. أما الطلاب الذين يجدون صعوبات نسبية في التواصل مع زملائهم من دين مختلف، فقد تجاوزت حدود الثلث من إجمالي أفراد العينة، إذ بلغت في الكليات غير الموحدة 34% مقابل 29% في الكليات الموحدة. إن هذا التفاوت الضئيل، بين الكليات ذات دلالة على الدور الإيجابي للكليات الموحدة في عملية التواصل والتقارب بين الأشخاص الذين ينتمون إلى ديانات أخرى. وينطبق هذا التوزيع

على الطلاب تبعا للسنوات الدراسية مع فوارق بسيطة (جدول رقم 12)، حيث تكاد أن تكون النتائج متشابهة، سواء على صعيد عدم وجود صعوبات في التواصل (64% تقريبا في كل من السنتين)، أو على صعيد الصعوبات المحدودة (23%). أما في ما يتعلق بالاعتراف بصعوبة التواصل مع أشخاص من ديانات أخرى بشكل كامل، إن كان على مستوى الكليات أو على مستوى السنوات، فهي ضئيلة، لم تتعد الـ 4%.

ب. الكليات الموحدة و دورها في التواصل الاجتماعي

تشير معطيات الجدولين رقم 13 و 14، إلى أن أكثر من نصف أفراد العينة يؤيدون دور الحرم الجامعي الموحَّد في تقريب الطلاب لبعضهم البعض والتفاعل في ما بينهم. ويتبين أن الطلاب في الكليات الموحدة أكثر حماسا لفكرة التوحيد من زملائهم في الكليات غيرالموحدة إذ بلغت النسبة 61% مقابل 52% على التوالي، (جدول رقم 13). إلا أن الصورة تبدو معكوسة على مستوى السنوات ففي حين أن نسبة 63% وما فوق من طلاب السنة الأولى تعطي أهمية للحرم الجامعي الموحَّد في التقارب بين الطلاب، فإن هذه النسبة تنخفض إلى حدود 42% لدى طلاب السنة الأخيرة (جدول رقم 14). إن هذا الاختلاف في آراء الطلاب، يعود في تقديرنا، إلى التجربة التي يعيشها الطلاب الذين مضى على وجودهم عدة سنوات في الجامعة، وما يواجهونه من أحداث داخل الجامعة.

جدول 13: آراء الطلاب في دور الحرم الجامعي الموحد في التقارب في ما بينهم بحسب للكلية

			التقارب بين الطلاب			المجموع
			نعم	إلى حد ما	لا	لا جواب
الكلية	كلية غير موحدة	العدد	171	123	30	4	328
		%	52.1	37.5	9.1	1.2	100
	كلية موحدة	العدد	117	61	9	3	190
		%	61.6	32.1	4.7	1.6	100
المجموع		العدد	288	184	39	7	518
		%	55.6	35.5	7.5	1.4	100

قيمة ك مربع غير دالة إحصائيا

جدول 14: آراء الطلاب في دور الحرم الجامع الموحد في التقارب في ما بينهم وفقا للسنة الدراسية

			التقارب بين الطلاب				المجموع
			نعم	إلى حد ما	لا	لا جواب	
السنة الدراسية	الأولى	العدد	208	101	12	6	327
		%	63.6	30.9	3.7	1.80%	100
	الأخيرة	العدد	80	83	27	1	191
		%	41.9	43.5	14.1	0.50%	100
المجموع		العدد	288	184	39	7	518
		%	55.6	35.5	7.5	1.40%	100

قيمة ك مربع دالة إحصائيا (0.05)

ج. التعاون بين الطلاب: خلفية وطنية أم دينية؟

تشير معطيات الجدولين 15 و16 إلى تطابق في نتائجهما على المستوى الكلي، إذ إن 32% من أفراد العينة يرغبون في التعاون مع زملائهم دون تحفظ، مقابل 28% يتعاونون مع بعضهم بشكل نسبي، و37% يرفضون فكرة التعاون مع الآخرين. وإذا اعتبرنا أن التعاون الجزئي بين الطلاب، ينم عن حالة خوف أو تردد تجاه الآخر، وبالتالي لا يمكن تصنيفه في نطاق التعاون الجدي والمثمر، فإن الجامعة تكون أمام حالة من الانكفاء والتراجع في تكوين أطر وطنية واجتماعية تجمع بين الطلاب، إذ إن ثُلثي أفراد العينة تقريبا لا يبدون رغبة في التعاون مع بعضهم بشكل جدي وكامل. أما على مستوى الكليات والسنوات فإن مستوى التعاون أو عدمه متوازيا، إذ إن نصيب كل متغير وصل إلى حدود الثلث أو تجاوزه بقليل.

جدول 15: مدى تعاون الطلاب في ما بينهم تبعا للكلية

			التعاون بين الطلاب				المجموع
			نعم	أحيانا	لا	لا جواب	
الكلية	كلية غير موحدة	العدد	106	97	119	6	328
		%	32.3	29.6	36.3	1.8	100
	كلية موحدة	العدد	62	50	74	4	190
		%	32.6	26.3	38.9	2.1	100
المجموع		العدد	168	147	193	10	518
		%	32.4	28.4	37.3	1.9	100

قيمة ك مربع غير دالة إحصائيا

جدول 16: مدى تعاون الطلاب في ما بينهم وفقا للسنة الدراسية

			التعاون بين الطلاب				المجموع
			نعم	أحيانا	لا	لا جواب	
السنة الدراسية	الأولى	العدد	109	87	123	8	327
		%	33.3	26.6	37.6	2.4	100
	الأخيرة	العدد	59	60	70	2	191
		%	30.9	31.4	36.6	1	100
المجموع		العدد	168	147	193	10	518
		%	32.4	28.4	37.3	1.9	100

قيمة ك مربع غير دالة إحصائيا

كما تدل بيانات الجدول 17، المتعلقة بالجهة التي يتعاون معها الطلاب، على تدني دور الجامعة اللبنانية في تحقيق الاندماج الوطني وتعميقه بين الطلاب، وذلك لسببين رئيسيين: الأول، يتعلق بتدني نسبة الطلاب الذين يتعاونون مع بعضهم البعض، بحيث لم تتجاوز 12% من مجموع أفراد العينة. أما الثاني، فهو حصرية التعاون بين الطلاب الذين ينتمون إلى دين واحد أو منطقة واحدة، أي بنسبة 10% للأول و2% للثانية، ويتوزعون بنسبة 59% من المسلمين و41% من المسيحيين. والملفت أيضا أن 91% من طلاب الكليات الموحدة لا يبدون تعاونا مع زملائهم، وبشكل خاص في كليتي الطب والصيدلة، وهما الكليتان اللتان من المفترض أن يتحقق فيهما أكبر قدر من التعاون، لما تفرضه طبيعة الاختصاص عليهما.

جدول 17: الجهة التي يتعاون معها الطلاب بحسب الكلية

			الجهة التي يتعاون معها الطلاب				المجموع
			دين واحد	منطقة واحدة	لا ينطبق	لا جواب	
الكلية	كلية غير موحدة	العدد	47	7	258	16	328
		%	14.3	2.1	78.7	4.9	100
	كلية موحدة	العدد	7	5	173	5	190
		%	3.7	2.6	91.1	2.6	100
المجموع		العدد	54	12	431	21	518
		%	10.4	2.3	83.2	4.1	100

قيمة ك مربع دالة إحصائيا (0.001)

3. البعد السياسي

يصف بول فاليري (Paul Valery) بسخرية، السياسة بأنها «فن منع الناس من الاهتمام بما يعنيهم»[6]. فإذا كان النمط السائد في نظام الحكم في لبنان لا يحفّز على المشاركة، فكيف يمكن حمل الناس على المشاركة في أنظمة لا تحتاج إلى مشاركتهم؟ (مسرة، 1995 – أ) وهل يعني ذلك استبعاد الشباب من المشاركة؟ وما هو مستقبل الطلاب الجامعيين في إدارة الشأن العام؟ إذا كانت الحركات الطلابية في أوروبا، قد احدثت تغيرات هامة على المستوى الوطني، في الستينيات من القرن الماضي، فإن الحركات الطلابية في لبنان لم تكن لتتحرك، بدوافع وطنية شاملة بقصد التغيير الكلي لما فيه المصلحة الوطنية العامة، بل كانت تتحرك وفق أواليات طائفية أو إيديولوجية ضيقة، (مشاركتها في الحرب اللبنانية 1975)، لا تأخذ في الاعتبار المصالح الوطنية العامة، بل تحاول قياس الوطن وفق مصالحها، حتى أصبح اللبناني يتصرف في وطنه كأنه وطن غيره، لا يربطه بوطنه سوى العمل والمهنة (مسرة، 1995 – ب). وهكذا أصبح التباعد بين الشباب والسياسة ينمو تدريجيا نتيجة الفشل في تحقيق أطر وطنية جامعة لكل اللبنانيين.

أ. النظام السياسي في لبنان محبط أم محفّز على المشاركة؟

في الوقت الذي أبدى فيه الطلاب رغبتهم في المشاركة في الحياة السياسية بنسبة 55% لاعتقادهم أنه لا يوجد عقبات أمام تسلمهم أحد المناصب السياسية في المستقبل، بالمقابل، فإن نسبة مرتفعة أيضا، حوالى 42% أبدت عدم رغبتها في المشاركة السياسية نتيجة لأسباب مختلفة. فعلى صعيد الكليات فإن نسبة 57% تقريبا من طلاب الكليات الموحدة لا تجد موانع تحول دون تسلمها مناصب سياسية، مقابل 54% في الكليات غير الموحدة (جدول 18). إن هذه النسب تشير إلى أن آراء الطلاب موزعة بالتساوي نسبيا، بين الرفض والقبول في تسلم مناصب سياسية. وهذا أمر ملفت ومستغرب، خاصة وأن الإنسان بطبعه ميال إلى السلطة. إلا أن هذا الانكفاء، يدل على مدى التباعد بين السياسة والسياسيين ومصالح الناس، وعلى احتكار السلطة من قبل الزعامات الطائفية والعائلية. وما يدعم هذا الاتجاه هي الاتهامات والانتقادات التي وجهها الطلاب إلى السياسيين وسوء أدائهم، ونعتهم بمختلف النعوت من الفساد إلى توارث السلطة وسوء أداء الأحزاب الحالية، كما سجلت نسبة 11% تقريبا خوفها من الاغتيال والقتل.

جدول 18: مواقف الطلاب من موانع تسلم مناصب سياسية في المستقبل تبعا للكلية

			موانع تسلم منصب سياسي			المجموع
			لا	نعم	لا جواب	
الكلية	كلية غير موحدة	العدد	178	143	7	328
		%	54.3	43.6	2.1	100
	كلية موحدة	العدد	108	77	5	190
		%	56.8	40.5	2.6	100
المجموع		العدد	286	220	12	518
		%	55.2	42.5	2.3	100

قيمة ك مربع غير دالة إحصائيا

[6] http://www.elwatan.com/Le-11-decembre-1960-a-ete-un

جدول 19: مواقف الطلاب من المشاركة في الانتخابات النيابية تبعا للسنة الدراسية

			الموقف من الانتخابات					المجموع
			سأنتخب	سأشارك في الحملة الانتخابية	سأقاطع	لا أعرف	لا جواب	
السنة الدراسية	الأولى	العدد	92	53	47	134	1	327
		%	28.1	16.2	14.4	41	0.3	100
	الأخيرة	العدد	102	18	24	46	1	191
		%	53.4	9.4	12.6	24.1	0.5	100
المجموع		العدد	194	71	71	180	2	518
		%	37.5	13.7	13.7	34.7	0.4	100

قيمة ك مربع دالة إحصائيا (0.000)

إن الطلاب الذين أعربوا عن رغبتهم في المشاركة في الانتخابات وفي الحملة الانتخابية، يمكن دمجهما مع بعضهما البعض باعتبارهم يولون اهتماما خاصا للعملية الانتخابية. وعلى هذا الأساس فإن نسبة هؤلاء ارتفعت إلى 51% من إجمالي أفراد العينة، مقابل 48% لم تحدد موقفها من المشاركة أو سوف تقاطع الانتخابات، حيث نلاحظ أن هناك توازنا في المواقف بين المتحمسين للانتخابات وبين المقاطعين أو غير المبالين. أما التفاوت الواضح فكان على مستوى السنوات الدراسية، إذ بلغت نسبة الذين يرغبون في المشاركة في الانتخابات وفي الحملات الانتخابية 44% من بين طلاب السنة الأولى مقابل 63% تقريبا من بين طلاب السنة الأخيرة (جدول 19). ونعتقد أن مرد هذا التفاوت يعود إلى انخراط الطلاب في السنة الأخيرة في الحياة السياسية، خاصة وأنهم أصبحوا على أبواب التخرج وربما يطمحون إلى استلام مراكز سياسية محددة.

كما أن الذين لم يحددوا موقفا من الانتخابات، فإن نسبتهم أعلى في السنة الأولى 41% مقابل 24% من طلاب السنة الأخيرة. وهذا له دلالته من حيث تفهم السنة الأخيرة لضرورة عملية المشاركة في الانتخابات النيابية.

هناك مسألتان جديرتان بالاهتمام في هذا الاستبيان، الأولى، هي ضآلة نسبة الطلاب التي ترغب في المشاركة في الحملات الانتخابية، بحيث لم تتجاوز 13% من إجمالي أفراد العينة. والثانية، هي ارتفاع نسبة الذين لا يبدون اهتماما بالانتخابات ولم يحددوا موقفا منها إذ بلغت نسبتهم 35% تقريبا.

أما في ما يتعلق بمواقف الطلاب وتوجهاتهم من المخاطر الخارجية على لبنان فإنها توزعت بشكل أفقي طاولت مختلف النواحي وتوزعت على أكثر من 30 احتمالا، إلا أن التخوف البارز كان من الخارج وبشكل أساسي من إسرائيل حيث وردت اكثر من 223 مرة من أصل 518، سواء شكلت وجهة الخطر الوحيدة، أو مع غيرها كالولايات المتحدة الأمريكية وسوريا والعرب المعتدلين، وهذا الأمر ينطبق على سوريا أيضا إنما، بتكرارات أقل، حيث وردت حوالى 80 مرة، إما منفردة أو مع إيران وإسرائيل.

كما أن الأطماع الدولية الخارجية سجلت معدلا عاليا (83 تكرارا)[7]. أما الإجابات الباقية فقد توزعت بين التخوف من الوضع الاقتصادي وتزايد ظاهرة الهجرة، إلى الانقسام الداخلي والخوف من الحرب والتقسيم وسلاح حزب الله. إن هذا التباين في المواقف من القضايا الوطنية المشتركة، يدعو إلى التشاؤم، ويؤسس باستمرار، إلى مزيد من التفكك والانقسام، الأمر الذي يجعل من الاندماج الوطني عملية بالغة الصعوبة والتعقيد.

ب. الموقف من الهوية الوطنية

تعتقد نسبة ضئيلة، لا تتجاوز 5% من مجموع أفراد العينة، أن اللبنانيين قد أنجزوا هويتهم الوطنية بشكل مستقل، في حين أن نسبة 47% تعتقد بأن اللبنانيين لم يستطيعوا إنجاز هويتهم الوطنية، كما أن نسبة 42% تشكك في هذا الإنجاز، أو تعتبره ناقصا، مما يعني أن نسبة 89% من الطلاب يشككون أو لا يعترفون بأن اللبنانيين قد أنجزوا هويتهم الوطنية المستقلة، وربما يستندون في ذلك إلى عدم قدرة اللبنانيين على حل مشاكلهم بأنفسهم دون تدخلات خارجية (جدول 20).

جدول 20: آراء الطلاب حول إنجاز اللبنانيين لهويتهم الوطنية بحسب الكلية

			إنجازاللبنانيون لهويتهم الوطنية				المجموع
			نعم	إلى حد ما	لا	لا جواب	
الكلية	كلية غير موحدة	العدد	20	151	137	20	328
		%	6.1	46	41.8	6.1	100
	كلية موحدة	العدد	6	68	109	7	190
		%	3.2	35.8	57.4	3.7	100
المجموع		العدد	26	219	246	27	518
		%	5	42.3	47.5	5.2	100

قيمة ك مربع دالة إحصائيا (0.006)

أما في ما يتعلق بآراء الطلاب حسب السنوات الدراسية، فإنها متشابهة نسبيا مع مواقف الطلاب في الكليات، حيث بلغت النسبة 42% في السنة الأولى و56% في السنة الأخيرة، لمن يعتبرون بأن اللبنانيين لم ينجزوا هويتهم الوطنية[8]. إلا أن التوافق والتطابق، كان واضحا، بين مواقف الطلاب في الكليات والسنوات، حول تحقيق الهوية الوطنية من قبل اللبنانيين، إذ إن النسبة لم تتجاوز 5% لدى الطرفين. وهذا ما يؤدي إلى طرح اسئلة عديدة يأتي في مقدمتها مسألة الولاء الوطني والاقتناع بالنخب السياسية التي تدير الحكم.

[7] إحتسبت هذه التكرارات والمعدلات من قاعدة البيانات الأساسية للدراسة الميدانية.
[8] إحتسبت هذه التكرارات والمعدلات من قاعدة البيانات الأساسية للدراسة الميدانية.

ج. حرية التعبير داخل الحرم الجامعي

يبدو أن نسبة الطلاب الذين يعبرون بحرية عن أرائهم متدنية إذ لا تتجاوز الثلث تقريبا 34% من مجمل أفراد العينة، أما الذين لا يستطيعون التعبير عن آرائهم بشكل كامل أو نسبي فإنها مرتفعة إذ وصلت إلى 63% تقريبا من إجمالي أفراد العينة. أما توزع هذه النسب بين الكليات فقد أتت متفاوتة، ففي حين أن نسبة الذين يعبِّرون عن آرائهم بحرية بلغت 38% في الكليات غير الموحدة فإنها تدنت إلى 28% تقريبا في الكليات الموحدة. كذلك في ما يتعلق بالطلاب الذين لا يستطيعون التعبير عن آرائهم بشكل كامل أو نسبي فإنها ارتفعت إلى 68% في الكليات الموحدة مقابل 59% في الكليات غير الموحدة (جدول 21).

جدول 21: توزع آراء الطلاب حول حرية التعبير عن آرائهم داخل الحرم الجامعي وفقا للكلية

			الحرية في التعبير				المجموع
			نعم	إلى حد ما	لا	لا جواب	
	كلية غير موحدة	العدد	124	112	84	8	328
		%	37.8	34.1	25.6	2.4	% 100
	كلية موحدة	العدد	54	83	47	6	190
		%	28.4	43.7	24.7	3.2	% 100
المجموع		العدد	178	195	131	14	518
		%	34.4	37.6	25.3	2.7	% 100

ويعود، في تقديرنا، تخوف الطلاب من التعبير عن آرائهم بحرية إلى عدة عوامل:

1) موقع المجمّع الجامعي في منطقة جغرافية ذات طابع طائفي واحد
2) وقوع المنطقة تحت سيطرة تيارات سياسية وحزبية من اتجاه واحد تقريبا
3) إنتماء بعض الطلاب إلى تيارات سياسية منافسة، أو قدوم بعضهم من مناطق غير متجانسة دينيا أو طائفيا مع طبيعة المنطقة وواقعها الطائفي.
4) عدم ثقة الطلاب ببعضهم البعض.

وبالتالي، فإن وحدة المكان الذي تشكله الجامعة باعتباره ساحة لتلاقي الطلاب يلعب دورا سلبيا يؤدي إلى التناقض والتنافر في ما بينهم.

د. الانتماء إلى العروبة

كانت مسألة الهوية والانتماء الوطني في لبنان منذ الاستقلال مدار جدل وتفسيرات مختلفة، إلى

أن حسمت وثيقة الوفاق الوطني في العام 1989 هذا الجدل رسميا باعتبار أن «لبنان عربي الهوية والانتماء» (مقدمة الدستور بند ب). فماذا حل بهذه المسألة لاحقا وخاصة نتيجة الصراعات التي شهدها لبنان في السنوات الأخيرة؟ تشير معطيات الجدول 22 إلى أن معظم الطلاب، أي بنسبة 60%، توافق على أن لبنان عربي الهوية والانتماء، أما المعارضون فلا تتجاوز نسبتهم الـ 10%، والذين يتحفظون في مواقفهم من هوية لبنان العربية، والاحتفاظ ببعض الخصوصيات فلا تتجاوز نسبتهم 21% من مجموع الطلاب.

جدول 22: مواقف الطلاب من هوية لبنان العربية وفقا للكلية

			لبنان عربي الهوية				المجموع
			موافق	إلى حد ما	غير موافق	لا أعرف	
الكلية	كلية غير موحدة	العدد	197	72	32	27	328
		%	60.1	22	9.8	8.2	% 100
	كلية موحدة	العدد	117	38	21	14	190
		%	61.6	20	11.1	7.4	% 100
المجموع		العدد	314	110	53	41	518
		%	60.6	21.2	10.2	7.9	% 100

قيمة ك مربع غير دالة إحصائيا

رابعاً: الخلاصة

لقد بيّنت الدراسة أن الجامعة اللبنانية، كحيز مكاني وبشري، لا تستطيع بمفردها تحقيق الاندماج الوطني بين الطلاب وتعميقه. إذ أن العوامل الخارجية، المتمثلة في العائلة والوسط الاجتماعي والإعلام وغيرها تؤثر في وعي الطلاب، وتحدد سلوكهم الاجتماعي ومواقفهم من الآخر أكثر من الجامعة. فالخطاب السياسي اليومي، الذي يعتمد التحريض الطائفي والمذهبي في مختلف وسائل الإعلام، لا بد وأن يؤثر في سلوك الأفراد والطلاب، داخل الجامعة وخارجها. ومهما كانت قدرات الجامعة، فانها لا تملك الأواليات التي تمكّنها من الوقوف في وجه المؤثرات الخارجية، التي تمتلكها المؤسسات المالية والدينية والإعلامية وتستخدمها، كأسلحة لتحقيق أهدافها، والتي ينتج عنها تخويف الآخر وإقصاءه. وبالتالي، فإن معزوفة توحيد الكليات الجامعية، من أجل تحقيق الاندماج الوطني والاجتماعي ليست بذات أهمية، طالما أن الإصلاح وتغيير الذهنيات يبدآن من بداية تكوين الفرد وتنشئته الاجتماعية والوطنية. فالطلاب الجامعيون هم ورثة الجماعات الأولية، والجامعة لم

تستطع إحداث تغيرات جدية، خاصة، في ما يتعلق بتعديل الصورة النمطية المكونة عن الآخر. لقد تبيَّن من خلال الدراسة، أن الطلاب مندمجون في ديانتهم وطوائفهم أكثر من اندماجهم في وطنهم. وأن التواصل الاجتماعي والتعاون، إذا تمّا، فيحصلان بين الطلاب الذين ينتمون إلى ديانة واحدة. كما أن نفور الطلاب وعزوفهم عن المشاركة في الحياة السياسية يفسرحالة التردي السياسي، وحالة الانكفاء والشعور بالإحباط، لدى الطلاب، خاصة تجاه قناعتهم بعدم تحقق الهوية الوطنية الكاملة للبنانيين.

المراجع

أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن خلدون. **مقدمة ابن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، فصل في أن الدعوة الدينية من غير عصبية لا تتم**. بيروت: دار العودة.

إبن منظور (2000). **لسان العرب**. بيروت: دار صادر.

الأمين، عدنان وفاعور، محمد (1998). **الطلاب الجامعيون في لبنان واتجاهاتهم**. بيروت: الهيئة اللبنانية للعلوم التربوية.

بدوي، أحمد زكي (1986). **معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية**. بيروت: مكتبة لبنان.

بركات، حليم (1986). **المجتمع العربي المعاصر**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

خضر، لطيفة إبراهيم (2000). **دور التعليم في تعزيز الانتماء**. القاهرة: عالم الكتب.

الدستور اللبناني، المادة 95 المعدلة بموجب القانون الدستوري رقم 18 تاريخ 1995/9/21.

الدستور اللبناني، المقدمة، البند (ب).

دليل الجامعة اللبنانية (1998).

سعيد، جودت (1998). **الدين والقانون**. بيروت: دار الفكر المعاصر.

شتراوس، ليفي (1982). **العرق والتاريخ**. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

شلحت، حسن (2005). **نحو نظرية جديدة في علم الاجتماع الديني**. بيروت: دار الفارابي.

غدنز، أنتوني (2005). **علم الاجتماع**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

مسرَّة، أنطوان (1995). **التجدد التربوي في عالم متغير**. بيروت: مجلس كنائس الشرق الأوسط.

مسرَّة، أنطوان (1995). **المواطنية في الواقع اللبناني**. قبرص: المؤسسة اللبنانية للسلم الأهلي.

معتوق، فريدريك (2001). **معجم العلوم الاجتماعية**. بيروت: أكاديميا.

مراد، حلمي (1973). **دور الجامعات في إعداد القوى العاملة المؤهلة**. القاهرة: إتحاد الجامعات العربية.

المركز التربوي للبحوث والإنماء (1997). **مناهج التعليم العام وأهدافها**. بيروت.

نصار، ناصيف (1970). **مقدمات أساسية في نقد المجتمع الطائفي**. بيروت: دار النهار للنشر.

Arnaldez, Roger (1986). *Trois messages pour un seul Dieu*. Paris : Flammarion.

Barakat, Halim (1977). Lebanon in strife: Student preludes to the civil war.Austin: University of Texas press.

Durkheim, Emil (1960). *Le suicide: étude sociologique*. Paris: PUF.

Durkheim, Emil (1967). *Les formes élémentaires de la vie religieuse*. Paris : PUF.

El-Amine, Adnan (1977). *Le puralisme scolaire au Liban et influence des écoles sur les attitudes et les conceptions socio-politiques* (Thèse de Doctorat). Paris: Sorbonne.

Encyclopædia universalis (2002). Tome V, Paris.

Hanf, Theodor (1973). Le comportement politique des étudiants libanais. *travaux et jours* 46 (janvier – mars).

Jabra, Joseph (1972). *Socialization and political development of lebanese school*. Institute of middle Eastern and North African affaires.

Marx, Karl et autres (1968). *Sur la religion*. Paris: éd.sociales.

Parsons, Tallcot (1955). *The family socialization and interaction process*. The free press.

Weber, Max (1967). *L'éthique protestante et l'esprit du capitalisme*. Paris: Plon.

http://www.elwatan.com/Le-11-decembre-1960-a-ete-un

http://www.maaber.org./issue-october071looku...

http://www.beirutlines.com.sites2/pages/arabic

http://al-haqeeqa.net/news2/showArticlenews.asp?aid=468- 19-7-2007